الطفولة في القرآن الكريم دراسة بيانية وتربوية

د. غدير الشمايله *

تاريخ تقديم البحث:٢ /٢ /٢٠١٧م. تاريخ قبول البحث: ٢/١٠ /٢٠١٧م.

ملخص

تناول هذا البحث صورة الطفولة في القرآن الكريم، وكيف نظر القرآن إلى الطفولة والأطفال، وما أولاهم إياه من رعاية واهتمام، وما حث عليه الكبار من رعاية لحقوقهم.

وقد عرّج البحث على التعريف اللغوي للطفل والمفردات الخاصة بالأطفال كالوليد والغلام والصبي وغيرها.

كما درس ورود اللفظ من حيث الإفراد والجمع والتعريف والتنكير مستعرضاً ذلك من خلال التوجيهات الخاصة بحقوق الأطفال.

وقد استعان البحث بكتب البلاغة والتفسير وما وقع من مصادر ومراجع تفيد في هذا المجال، وكان منهجه بيانياً وصفياً.

The Image of Childhood in the Holy Qur'an

Dr. Ghadeer Al-Shamaileh

Abstract

The goal of this study is to investigate the image of childhood in Holy Qur'an. Also, this research intends to discuss the view of Holy Qur'an to both children and childhood in terms of their priority and consideration by elderly or adult. This research provides an overview of the definition of the terms related to childhood such as infant, boy, child and youngster. In addition, it discusses the term from the aspects of definiteness and indefiniteness in case of number such as singularity, plurality, definition in relation to the guideness associated with children rights. In conclusion, this research adopted the descriptive analytical search methodology by eliciting data from different sources included interpretation and linguistic books and relevant materials. This research recommends that further investigations be conducted in this areas to confirm the findings of the study.

* قسم اللغة العربية، جامعة مؤتة.

حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤتة. الكرك، الأردن.

مقدمة:

يشهد عالمنا اليوم حروباً داميةً، وكوارث إنسانية مريعة، سببتها النزاعات السياسية، والصراعات الطائفية، والأطماع الاقتصادية، مما يهدد أمن البشرية، ويستنزف طاقاتها، ويرعب الشعوب ويخلخل أمنها.

ولا شك أن الأطفال هم الحلقة الأضعف وسط هذه الصراعات، إذ لا حول لهم ولا قوة، ولا مهرب لهم أو ملجأ، مع أن الأديان السماوية أوصت بهم خيراً (لاسيما أثناء الحروب).

فهذا أبو بكر الصديق ﷺ يوصي جيشه قبل الغزو بقوله:

"ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأةً ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرةً، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرةً ولا بعيراً إلا لمأكله"(١).

ولكن هيهات أن يُسمع مثل هذا النداء الإنساني، وسط هذه الصراعات المحمومة، وسعير التوحش المستوطن في جميع دول العالم، فليس للطفولة صوت مسموع، وليس لضعفها راحم إلا الله، فهو "خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين".

وقد أراد هذا البحث أن يلقي الضوء على واقع الطفولة في القرآن الكريم، وما حظيت به من رعاية واهتمام، وفق دراسة بيانية، تلقي الضوء على المعاني الأدبية والإنسانية – التي يفتقدها عالمنا اليوم لاسيما أن الطفولة تشغل ما يقرب ربع حياة الإنسان، وفيها تتشكل شخصيته، وتتأثر سنواته اللاحقة بكل ما يمر خلالها من تجارب وأحداث.

وقد استعان البحث بعدد من المصادر والمراجع على رأسها القرآن الكريم وكتب التفسير البياني منها الموضوعي من مثل تفسير الزمخشري (الكشاف) وتفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) و(التحرير والتنوير) لابن عاشور وغيرها.

ومن الكتب الحديثة والدراسات المعاصرة اتكأ على عدد من المؤلفات المعنية بهذا الموضوع من مثل رسالة غالية البيشي (الطفل في القرآن الكريم) في الماجستير، و(حقوق الطفل في القرآن الكريم) لعبد الحكيم الأنيس، و(تربية الأطفال في رحاب الإسلام) لمحمد حامد الناصر وخولة عبد القادر درويش، وبحث الدكتور داود بن عيسى بورقيبة (حقوق الطفل في القرآن).

(١) تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١, ١٤٠٧هـ، ج٢، ص٢٤٦.

ومن كتب البلاغة استعان بعدد من المصادر من مثل (الإيضاح في علوم البلاغة) للخطيب القزويني، و(إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) لمصطفى صادق الرافعي، و(أساس البلاغة) للزمخشري، و(لمسات بيانية) لفاضل صالح السامرائي وغيرها.

وكان منهج البحث بيانياً وصفياً والله المستعانُ.

المعنى اللغوي للطفولة

الطفولة لغةً: من الجذر الثلاثي (ط ف ل) وقد جاء في اللسان.

"الطِّفل: البَنان الرَّخْص، والطَّفل (بالفتح): الرَّخص الناعم.

ويقال جارية طَفْلَة: إذا كانت رَخْصَة، والطِّفْل والطَّفْلة: الصغيران[١].

وجاء فيه أيضاً: الصبي يُدعى طفلاً حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم[٢].

فالمعنى يرتبط باللين والنعومة والصغر وبذا يكون الطفل قد سمي طفلاً لنعومته وصغره.

وقد ورد في الكتاب العزيز: {وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا}[٣]، إشارة إلى الحال التي يولد عليها الإنسان , وهي الطفولة.

وفي تفسير البغوي "أراد بالطفل الأطفال، يكون واحداً وجمعاً، وعليه فلا مانع من أن تأتي (الذين) بعد الطفل"[٤].

غير أن للأصل الثلاثي بعداً لغوياً آخر، لا بدَّ من التنبيه عليه، وهو الدنو والإقبال نحو الغروب، يقول ابن منظور:

"الطَّفل: الشمس عند غروبها، وتطفيل الشمس: ميلها للغروب"[٥]، وقال أبو عمرو: الطَّفَل: الظلمة نفسها، وأنشد لابن هرمة[٦]:

(١) لسان العرب، ابن منظور المصري، دار صادر، بيروت، مادة (ط ف ل).
(٢) المصدر نفسه، مادة (طفل).
(٣) سورة الحج، آية: (٥).
(٤) تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣.
(٥) لسان العرب، مادة (طفل).
(٦) هو إبراهيم بن علي بن سلمة من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، ت (١٧٦هـ)، شاعر مشهور.

وقد عراني من لون الدُّجى طَفَلُ[١]

وفي مقاييس اللغة: "الطاء والفاء واللام أصل صحيح مطرد، ثم يقاس عليه، والأصل المولود الصغير, يقال هو طفل والأنثى طفلة, والمُطْفِل: الظبية معها طفلها"[٢].

وقد ورد في أساس البلاغة للزمخشري ما مفاده أن التطُّفل يعني الدخول على الناس دون إذن، يقول:

"طَفَّل علينا وتطفل وهو طفيلي"[٣]، إشارة إلى الطُفيليين من الناس.

وهذا يلقي الضوء على العلاقة بين معنى (التطفل) وهو دخول الشخص مع القوم فيأكل طعامهم من غير أن يدعى، ومعنى تطفل الصغير على أبويه أي انتفاعه بهما دون أن يُعطي وينفع، يقول الدكتور عبد الفتاح محمد طيره، في كتابه (خلق الإنسان):

"لا يملك الطفل إلا أن يأخذ وينتفع دون أن يعطي وينفع، وهو بهذا يكلف أبويه وأسرته ومجتمعه الكثير من الجهد والبذل والعطاء"[٤].

ويربط الباحث بين حال الطفل وبين الإنسان الطفيلي:

"من المؤسف أن كلمة التطفل استعملت بين الناس (كوصف) استعمالاً خاطئاً فوصف بها – مثلاً–من يحاول استطلاع أحوال الناس، وتسقط أخبارهم، ومن يفرض نفسه على ولائم ومجتمعات لم يُدع إليها"[٥].

(١) انظر البيت في (شعر ابن هَرْمَة القرشي) تحقيق: محمد نفاع وحسين عطوان، مكتبة مروان العطية دمشق، ١٩٦٩، ص٦٤.

(٢) مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العربي، ط ٢٠٢، مادة (ط. ف. ل).

(٣) أساس البلاغة، جاد الله أبو القاسم الزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم حمود، دار المعرفة، بيروت, ١٩٨٢، ص (٢٨١).

(٤) خَلْق الانسان، د. عبد الفتاح محمد طيره، الهيئة المصرية للكتاب, ١٩٨٨، ص (٣٩٧).

(٥) المرجع السابق، ص (٣٩٧).

ويستدرك:

"غير أن التطفل عند الصغير مؤقت وغير دائم، وقد يكون محبباً، لأنه تمهيد لبنائه وبلوغه، بينما يكون عند الكبار منقصه وسوء خلق، لأن الأصل في البلوغ اعتماد الإنسان على نفسه"(١).

وبذا يحمل الأصل اللغوي معنيين:

أولهما: النعومة واللين والعمر الصغير.

ثانيهما: التطفل أي الحاجة إلى الأبوين والاعتماد شبه الكامل عليهما.

وقد أورد الثعالبي في (فقه اللغة وسر العربية) فصلاً في مسميات الطفل قبل البلوغ فقال: "يقال للصبي إذا ولد رضيع ثم فطيم ثم دارج حَفْر ثم يافع ثم شَدَخ ثم مُطبِّخ ثم كوكب"(٢).

ثم ذكر أن ثمة تقسيم أشفى منه في ترتيب سن الغلام فقال: "ما دام في الرحم فهو جنين، فإذا ولد فهو وليد، وما دام لم يستتم سبعة أيام فهو صديغ (لأنه لا يشتد صدغه إلى تمام السبعة، ثم ما دام يرضع فهو رضيع، ثم إذا قطع عنه اللبن فهو فطيم، ثم إذا غلظ وذهبت عنه ترارة الرضاع فهو جَحوش (قال الأزهري: كأنه مأخوذ من الجَحْش الذي هو ولد الحمار)"(٣).

ويتابع الثعالبي تتبع سني حياة الطفل إلى أن يشب ثم إلى أن يشيب، ونورده كاملاً لحاجة البحث إلى بعض ما يرد فيه من ألفاظ.

"ثم هو إذا دب ونما دارج، فإذا بلغ طوله خمسة أشبار فهو خماسي، فإذا سقطت رواضعه فهو مثغور، فإذا نبتت أسنانه بعد السقوط فهو مُثْغِر، فإذا كان يجاوز العشر سنين أو جاوزها فهو مترعرع وناشئ، فإذا كاد يبلغ الحُلم أو بلغه فهو يافع ومراهق، فإذا أدرك واجتمعت قوته فهو حِزَّورْ (واسمه في جميع هذه الأحوال غلام) فإذا اخضّر شاربه وأخذ عِذاره يسيل قيل: بَقَل وجهه، فإذا صار ذا فَتاء فهو فتى وشارِخ، فإذا اجتمعت لحيته، وبلغ غاية شبابه فهو مُجْتَمع، ثم ما دام بين الثلاثين والأربعين فهو شاب، ثم هو كهل إلى أن يستوفي ستين"(٤).

وقد تتبعت غالية البيشي مراحل نمو الطفل حتى بلوغه، فأضافت إلى ما جاء في المعاجم القديمة مصطلحات حديثة كـ (الحَدَث) وهو الفتى حديث السن، والأنثى حَدَثَة... كذلك عرضت لمعنى

(١) المرجع السابق، ص (٣٩٧).
(٢) فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور الثعالبي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص (٨٢).
(٣) المرجع السابق، ص (٨٢).
(٤) المرجع السابق، ص (٨٢).

(القاصر) و(الناشئ) في رسالة قيمة حول الطفولة في القرآن لمن أراد التعمق في مسميات مراحل نمو الأطفال[١].

وسوف يعرض البحث بعض هذه المسميات في صفحاته القادمة، لاسيما ما استخدم منها في القرآن الكريم عند الإشارة إلى الأطفال.

الطفولة عالمياً

يعرف الطفل وفقاً للمادة الأولى من مشروعية اتفاقية الأمم المتحدة على أنه:

"كل إنسان لم يتجاوز الثامنة عشرة ما لم يبلغ سن الرشد"[٢].

وحسب تعريف علم النفس فالطفولة: (هي المرحلة التي يكون فيها الإنسان صغيراً ضعيفاً يعتمد في مأكله ومشربه ومأواه وقضاء حوائجه وحمايته من حوادث الحياة على الكبار)[٣].

وتنص الدراسات العالمية على أن تربية الأطفال أمر صعب، يحتاج إلى صبر ومكابدة يقول أحد الباحثين ويُدعى (مايكل لاجر):

"أن الذين يأخذون على عاتقهم القسط الأكبر في تربية الأطفال هم القلة"[٤].

وكتب (ف. آ) سوخر في كتابه (نحن وأطفالنا) مشيراً إلى أهمية فهم عالم الطفولة:

"أعتبر أن من الضروري أن تصبح طفلاً إلى درجة ما لكي تستطيع الدخول إلى القصر الأسطوري الذي اسمه الطفولة"[٥].

غير أن الكاتب يبدي استغرابه من كون الاحتفال بميلاد الأطفال لا يتناسب في تواضعه مع عظم الميلاد نفسه، يقول:

"إن قدوم إنسان جديد حدث سعيد على نطاق المجتمع، ولكنه عادي أيضاً، فقد أتينا إلى هذا العالم بهدوء، وبشكل غير ملاحظ، لم تضرب المدافع، ولم تنفخ الأبواق، لكن ظهورنا إلى النور كان أيضاً عيد واحتفال"[٦].

---

(١) (الطفل في ضوء القرآن الكريم) غالية محمد البيشي، رسالة ماجستير إشراف د. كمال سيد أحمد، الرياض, ١٤٣٢هـ.

(٢) قانون الطفل رقم (١٢) لسنة ١٩٩٦م، المستشار أحمد صابر، إصدار نادي القضاة، ط روز اليوسف, ٢٠٠٣/٢٠٠٤.

(٣) حلقة العناية بالثقافة القومية للطفل العربي، محمد أبو العزم، ص (٦٧).

(٤) الآباء وتربية الأبناء، ترجمة محمد عبد الرحيم عدس، دار الفكر للنشر، عمان، ط١، ١٩٩٥، ص(٢٦).

(٥) نحن وأطفالنا، ترجمة جوهر سعد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق, ١٩٩٧م، ص (٤٩). لم يذكر الاسم الصريح للمؤلف.

(٦) المرجع السابق، ص (١٥).

لقد احتفل القرآن الكريم بالطفل منذ ما يقرب من أربعة عشرَ قرناً احتفالاً ما عليه مزيد وفق منهج علمي قويم يبهر المتأملين، ويسبق جميع الدراسين في شأن الطفولة.

فهو يبدأ بالاحتفال بالطفل منذ تخلقه في الرحم، قال تعالى:

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤)}[١].

يقول مصطفى صادق الرافعي في كتابه (إعجاز القرآن) يصف إعجاز الآية وروعتها: (فأنت لا بَّد واجد فيها من قوة المعاني أكثر مما في العقل العربي من قوة الفهم وقوة التعبير، لتكون قوة الدلالة فيه يوم تتهيأ للأمم ووسائلها العلمية دليلاً من أقوى أدلة الإعجاز)[٢].

ويذكر بعض وجوه دقة الإعجاز فيها فيقول:

(ولقد خلقنا الإنسان، يعني إيجاداً واختراعاً)) وفي قوله: {ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً} عبر بـ (جعلنا) لصدقه على تحويل المادة، وفي قوله: (فكسونا) إشارة إلى أن اللحم ليس من أصل الخلقة اللازمة للصورة، بل كالثياب المتخذة للزينة والجمال، وفي قوله: {ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ} سماه بعد أن نفخ الروح إنشاءَ، لأنه حينئذٍ قد تحقق بالصورة الجامعة[٣].

تقول محققة الكتاب (نجوى عباس) تعقيباً على ما قال الرافعي:

"وقد ثبت أن الجنين وتخلقه يكون في الإنسان والحيوان على شكل واحد فتحوله إلى الصورة الإنسانية بعد ذلك هو إنشاؤه خلقاً آخر، فتأمل هذا الإعجاز الدقيق العجيب"[٤].

(١) سورة المؤمنون، الآيات (١٢-١٤).

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، تحقيق: نجوى عباس، مؤسسة المختار القاهرة، ط١, ٢٠٠٣م، ص (١٠٩).

(٣) المرجع السابق، ص (١١٠ – ١١١).

(٤) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص (١٠٩).

ولعلّ من أجمل الصور التي تعكس الاهتمام بالجنين قبل تخلقه هي تلك الصورة الماثلة في دعوة الأبوين بأن يرزقا طفلاً صالحاً يكون قرة لأعينهما: {وَالَّذِيْنَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِيْنَ إِمَامَاً} (١).

يقول الدكتور داود بن عيسى بورقيبة حول هذا المعنى: "فإنّ ما يطمح إليه الإنسان في دنياه، ومن أعزّ الأمنيات على قلبه وأجمل الرغبات في نفسه أن يرزقه الله ذريةً طيبةً وولداً صالحاً"(٢).

فالدعاء المتكرر بميلاد طفل صالح للأبوين صورة مؤثرة لهذا الاهتمام وهذه النعمة.

كما يحتفل القرآن الكريم بالطفل عند ولادته، ويعدّ هذه الولادة بشارة للوالدين: {يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا} (٣).

كذلك يجعل من ميلاد الأنثى بشارة: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى}(٤).

وحذر من تكدير هذه البشارة بالتمييز بين المواليد (الذكور والإناث): { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ } (٥).

ويصف هذه المحاباة للذكور بأنها سوء في الحكم، فيعقب على الآية السابقة بقوله: {أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ }(٦).

فالطفل بشارة من الله ذكراً كان أم أنثى، ومحاباة الذكر إساءة في الحكم كما تصف الآية، واعتراض على اختيار الله، لقوله تعالى: {وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ}(٧).

وقد عقبت السيدة (امرأة عمران) على هذا الأمر بعد ولادتها (لمريم العذراء) رضي عنها: {فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى}(٨).

---

(١) سورة الفرقان، آية (٧٤).

(٢) حقوق الطفل في القرآن الكريم، د. داود بن عيسى بورقيبة، بحث قدمه في ندوة بعنوان (تطور العلوم الفقهية) في سلطنة عمان، أقامتها وزارة الأوقاف في ٢٠١٤/٩/٦.

(٣) سورة مريم، آية (٧).

(٤) سورة النحل، آية (٥٨).

(٥) سورة النحل، آية (٥٨).

(٦) سورة النحل، آية (٥٩).

(٧) سورة الحج، آية (٥).

(٨) سورة آل عمران، آية (٣٦).

"أي وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لها"[١]، فهذه المرأة لم تقصد المحاباة بين الذكر والأنثى ولكنها تمنت ولادة الذكر لأنه أقدر على خِدمة المسجد، وهذا معنى قولها (وليس الذكر كالأنثى)، ولو أدركت عظم المولودة القادمة (مريم رضي الله عنها) لما حزنت وتحسرت.

وذهب صاحب (الكشاف) إلى أن: الجملة المعترضة (والله أعلم بما وضعت) إنما جاءت لتكلمها (أي امرأة عمران) على وجه التحسر، فجاء كلام الله تعظيماً لموضوعها وتجهيلاً لها بقدر ما وهب لها[٢].

كما يظهر احتفاء القرآن بميلاد الطفل عند التحذير من قتله من الفقر: {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ}[٣].

فولادة الطفل سبب في مجيء الرزق، فقد يرزق الله الأهل بمعية الطفل، وحول تقديم الضمائر وتأخيرها يقول (البوطي) مقارناً بين قوله تعالى: {نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ}[٤],

{نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ}[٥].

"بالغ في إظهار هذا المعنى مع شيء من التأنيب حينما قدّم ضمير الأطفال في الرزق على ضمير الآباء، إذ أشعرهم بذلك بأن رزق أطفالهم مقدّر مهيأ لهم من قبل رزقهم هم، فلا يتوهموا أن لهم أي تأثير في رزقهم"[٦].

وفي الآية التي قُدّم فيها ضمير الآباء {نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ} يقول: "لم يقدم ضمير الأطفال كما فعل هنا، ذلك لأن خوف الآباء هناك، إنما هو على أنفسهم وأولادهم معاً، أو هو على أنفسهم قبل أولادهم، فلا داعي إلى إشعارهم بهذا المعنى على ذلك التقدير"[٧].

(١) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق: محمد عبد النعم خفاجي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٨٩، ص (١٢٢).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم الزمخشري، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ج١، ص(٣٥٠).

(٣) سورة الأنعام، آية (١٥١).

(٤) سورة الإسراء، آية (٣١).

(٥) سورة الأنعام، آية (١٥١).

(٦) من روائع القرآن، الدكتور محمد سعيد البوطي، مكتبة الفارابي، دمشق، ط٣، (د.ت)، ص (٢٦٢).

(٧) المرجع نفسه، ص (٢٦٢).

وحول تقديم ضمير المخاطبين على الضمير العائد على الأولاد في قوله سبحانه: { وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ }, يقول الدكتور أحمد أحمد بدوي: تقدم الضمير العائد على الأولاد, وتأخر ضمير المخاطبين في قوله: {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ}, ولعلّ السرّ في ذلك أنه في الآية الأولى يخاطب آباء مملقين، بدليل قوله (من إملاق) فكان من البلاغة أن يسرع فيعد هؤلاء الآباء بما يغنيهم من الرزق وأن يكمل ذلك بعدتهم برزق أبنائهم, حتى تسكن نفوسهم, ولا يجد القلق سبيلاً إليها، أما في الآية الثانية، فالخطاب للأغنياء، بدليل قوله (خشية إملاق) فإنه لا يخشى الفقر إلا من كان غنياً، إذ الفقير منغمس في الفقر، فكان من البلاغة أن يقدم وعد الأبناء بالرزق حتى يسرع بإزالة ما يتوهمون من أنهم بإنفاقهم على أبنائهم صائرون إلى الفقر بعد الغنى ثم يمضي يكمل طمأنتهم فوعدهم بالرزق بعد عِدة أبنائهم به[١].

وقد ذهب الزمخشري إلى أن تقديم الضمير العائد على الأطفال قبل الضمير العائد على ذويهم للتأكيد على عناية الله بهم، وتوبيخاً للأهل على سوء ظنهم بالله فيما يتعلق بالأرزاق[٢].

ويرى (الزمخشري) أن قتلهم للأولاد إنما يقع على الإناث يئودهن خِشية الفاقة[٣].

ولعلّ من أكثر التحذيرات لفتاً للنظر فيما يخصّ حقوق الطفل ورعايته في القرآن الكريم هو التحذير من أكل مال اليتيم أو الإساءة إليه، فقد "نبهت الشريعة الإسلامية ليس فقط على حفظ ما اليتيم والإنفاق عليه، بل أوصت بحسن معاملته، والبرّ به"[٤]، يقول سبحانه:

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ}[٥].

ويقول سبحانه: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ}[٦]، وقد جعل الله سبحانه وتعالى قهر اليتيم مساوياً للكذب في الدين[٧]:

(١) من بلاغة القرآن، الدكتور أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة، ط٥، ٢٠٠٨م، ص٩١.

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم الزمخشري، ط٣، ٢٠٠٣، ج٢، ص (٦٣٨).

(٣)

(٤) حقوق الطفل بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، د. عبد العزيز مخيمر، مجلس النشر العلمي، ط١٩٩٧،١، ص١٥.

(٥) سورة البقرة، آية (٢٢٠).

(٦) سورة الضحى، آية (٩).

(٧) حقوق الطفل بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، ص١٨٠.

{ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢)}[١].

والإحسانُ إلى اليتيم تشمل كل ما تستحسنه الشرائع، وهو مما واثق الله عليه الأمم السابقة[٢]:

{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ}[٣].

ومن مظاهر احتفاء القرآن الكريم بالطفل تأكيده حقه بالرضاعة: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ}[٤].

وقد خرج الفعل المضارع (يرضعن) إلى معنى الأمر تأكيداً على حق الأطفال بالرضاعة.

كما كفل للأطفال حق أمهاتهم بالنفقة: {وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ}[٥]، أي أمهات الأطفال، وقد تقدم الخبر (المولود له) على المبتدأ (رزقهن) أي الأمهات، للتأكيد على الآباء بواجب النفقة بمجرد مجيء الأطفال لقاء رعايتهن لهم.

وعدّ الإضرار بالوالدة ونزع ولدها أمرٌ محرم:

{لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا}[٦].

وحرّم حرمان الوالد من ولده:

{وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ}[٧].

كما أشار إلى حق المولود بالتسمية: {وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ}[٨] أي العابدة بني إسرائيل.

(١) سورة الماعون، الآيات (١-٢).

(٢) للمزيد حول حقوق اليتيم في الإسلام انظر: (حقوق الطفل في القرآن) عبد الكريم الأنيس، دار الشؤون الإسلامية، الإمارات.

(٣) سورة البقرة، آية (٨٣).

(٤) سورة البقرة، آية (٢٣٣).

(٥) سورة البقرة، آية (٢٣٣).

(٦) سورة البقرة، آية (٢٣٣).

(٧) سورة البقرة، آية (٢٣٣).

(٨) سورة آل عمران، آية (٣٦).

وقد وردت معظم هذه الأحكام ضمن آية واحدة هذا نصها:

{وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}(١).

يقول البوطي:

(فهذه آية واحدة صيغت من ستة أسطر قرآنية، أي مما لا يزيد على ستين كلمة، وقد تضمنت ثلاثة وعشرين حكماً مما يتعلق بنظام الأسرة لم يُستخرج واحد منها تمحلاً ولا تكلفاً بل هو بيّن أن تكون الآية دلت عليه بصريح المنطوق أو بجلي المفهوم، أو بمقتضى النص وأنت لو رحت تحاول التعبير عن هذه الأحكام بصياغة جلية دون اختصار مُخل أو إطالة من غير لزوم لاقتضى ذلك منك ما لا يقل عن خمسة وعشرين سطراً من الكلام، أي خمسة أضعاف النص القرآني)(٢).

ولا شك أن هذه الأحكام الثلاثة والعشرين المتعلقة بقانون الأسرة والحياة الزوجية إنما هي بدافع الحفاظ على حياة الأطفال ووجودهم، وإلا سيذهب كل من الزوجين في حال سبيله مخلفاً هؤلاء الأطفال بلا رعاية في حال نشوب صراع بينهما.

والأطفال بعد كل ذلك زينة الحياة الدنيا:

{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}(٣).

لأن في المال جمالاً ونفعاً، وفي البنين قوة ودفعاً(٤).

كما أنهم من أسباب السعادة:

{وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}(٥).

(١) سورة البقرة، آية (٢٣٣).

(٢) من روائع القرآن، ص (٤٧).

(٣) سورة الكهف، آية (٤٦).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، تحقيق: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١, ٢٠٠٠م، ج١٠، ص(٢٦٩).

(٥) سورة الفرقان، آية (٧٤).

كما أقسم الحقّ جلَّ وعلا بهم:

{وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ}(١).

يقول السامرائي في (لمسات بيانية) معللاً استخدام (ما) "في الآية {وَمَا وَلَدَ} ولم يقل (من ولد) لأن (ما) تقع للعاقل وغيره، ذلك أن الوالد من الأناسي والبهائم يحتاج في تربية ولده وحفظه وإطعامه والقيام عليه إلى صبر ورحمة"(٢).

فأي احتفال أعظم من هذا الاحتفال؟ وأي رحمة أعظم من هذه الرحمة!!

لفظ (الطفل) و (الأطفال)

في القرآن الكريم/ دراسة بيانية

لقد ورد لفظ (الطفل) و(الأطفال) في القرآن الكريم في أربعة مواضع هي:

{وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}(٣).

{أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ}(٤).

{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا}(٥).

{وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا}(٦).

أما باقي المواضع القرآنية فقد أُشير فيها إلى الطفل تحت مسميات أخرى، من مثل:

{أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا}(٧)، إشارة إلى طفولة موسى عليه السلام.

{وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا}(٨)، إشارة إلى يحيى عيه السلام، والحكم هو فهم كتاب الله عز وجل.

(١) سورة البلد، آية (٣).
(٢) لمسات بيانية، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان، ط٣، ٢٠١٣م.
(٣) سورة النور، آية (٥٨).
(٤) سورة النور، آية (٣١).
(٥) سورة غافر، آية (٦٧).
(٦) سورة الحج، آية (٥).
(٧) سورة الشعراء، آية (١٨).
(٨) سورة مريم، آية (١٢).

{أَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ}(١).

إشارة إلى الطفل الذي التقى به موسى عليه السلام برفقة الرجل الصالح.

{لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا}(٢).

{وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ}(٣).

{وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ}(٤).

{وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ}(٥) أي الأطفال قبل البلوغ.

{قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا}(٦) إشارة إلى المسيح عليه السلام أول ولادته.

فهذه الألفاظ (الوليد – الغلام – الصبي – الذين لم يبلغوا الحلم – الولد) كلها ترد في القرآن الكريم لتشير إلى الأطفال قبل البلوغ.

وسيلقي البحث في الصفحات التالية الضوء على ماهية هذه الألفاظ ودلالاتها البيانية والإنسانية، مستنيراً بكتب التفسير والبلاغة وبعض البحوث المختصة بإذن الله.

وعودة إلى الآيات الأربعة التي أوردت لفظ (طفل – الطفل – الأطفال) فقد وردت في معرض ذكر ولادة الطفل بعد استقراره في رحم أمه مباشرة: {وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا}(٧).

كذلك في معرض ذكر أطوار الجنين: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا}(٨).

(١) سورة الكهف، آية (٨٠).
(٢) سورة البقرة، آية (٢٣٣).
(٣) سورة البقرة، آية (٢٣٣).
(٤) سورة البقرة، آية (٢٣٣).
(٥) سورة النور، آية (٥٨).
(٦) سورة مريم، آية (٢٩).
(٧) سورة الحج، آية (٥).
(٨) سورة غافر، آية (٦٧).

وفي موضع آخر يرد ذكره للتنويه ببراءته وجواز دخوله على النساء: {أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ}(١).

كذلك في موضع التشديد على ضرورة استئذانه (أي الطفل) عند بلوغه سن الرشد قبل الدخول على أبويه: {وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا}(٢).

وقد لفتت ظاهرة الإفراد والجمع في لفظي (طفل – أطفال) نظر الدارسين القدامى فهذا أبو عبيدة معمر بن المثنى يعلل ظاهرة الإفراد في قوله تعالى: {ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا}(٣), فيرى فيه خروجاً على مقتضى الظاهرة وكان التوقع أن يقال: ثم يخرجكم أطفالاً.

فقال:

(مجازه أنه في موضع أطفال، والعرب تضع لفظ الواحد في معنى الجمع)(٤).

ويستشهد على جواز ذلك بقول عباس بن مرداس(٥):

فقلنـــا اســـلموا إنّـــا أخـــوكم فقـد برئـتْ مـن الإحـن الصـدورُ

وقوله تعالى: "والملائكة بعد ذلك ظهيراً" أي ظهراء.

وقولهم: "إنَّ العواذل ليسِ لي بأميرٍ" أي أمراء(٦).

فيكون معنى الآية: ثم يخرجكم أطفالاً على لغة العرب في وضع المفرد موضع الجمع.

وقد علل القرطبي في تفسيره هذا الإفراد بقوله:

(واقتصر على الواحد، لأن الغرض بيان الجنس)(٧) يقصد كل واحد منكم يخرج على صورة طفل، ومن جنس الأطفال.

(١) سورة النور، آية (٣١).
(٢) سورة النور، آية (٥٩).
(٣) سورة غافر، آية (٦٧).
(٤) مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فؤاد سركيس، (د.ت)، ج٢، ص (٢٠٠).
(٥) صحابي وشاعر من المخضرمين ممن اشتهروا في بداية عهد الإسلام وقبله، وكان من سادات قومه، انظر: ديوانه جمع وتحقيق: الدكتور يحيى الجبوري، دار النشر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩١.
(٦) المصدر السابق، ج٢، ص (٤٥).
(٧) الجامع لأحكام القرآن، ج١٥، ص(٢١٥).

وإلى مثل ذلك ذهب ابن عاشور في تفسيره فقال:

"وقوله (طفلاً) حال من ضمير (نخرجكم) أي حال كونكم أطفالاً، وإنما أفرد طفلاً لأن المقصود به الجنس، فهو بمنزلة الجمع"(١).

ويورد الدكتور فاضل السامرائي دراسة بيانية للألفاظ المتعلقة (بالأطفال) في كتابه (لمسات بيانية) فيقول:

(والطفل تأتي للمفرد والمثنى والجمع فنقول: "جارية طفل، وجاريتان طفل، وجواري طفل، فمن حيث اللغة ليست كلمة الطفل منحصرة بالمفرد)(٢).

وعن قوله تعالى: {ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا} يقول: (الآيات تتكلم عن خلق الجنس وليس عن خلق الأفراد، فكل الجنس جاء من نطفة ثم علقة ثم مضغة لذا جاءت كلمة (طفل) مفردة، أما قوله تعالى: {وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا} بكلمة الأطفال، فهنا السياق مبني على علاقات الأفراد وليس على الجنس، لأن الأطفال لما يبلغوا ينظرون إلى النساء كل واحد نظرة مختلفة، فلا يعود التعاطي معهم كجنس يصلح في الحكم، فقال: "لْيَسْتَأْذِنُوا الذين لم يبلغوا مِنكُمُ الْحُلُمَ" فاقتضى الجمع هنا(٣).

ويقصد الباحث بقوله:

(السياق مبني على علاقات الأفراد) أي أن لفظ (الأطفال) دال على أن لكل طفل نظرة خاصة به، حين يكبر قليلاً ويطلّع على عورات النساء، لذا اقتضي الجمع وليس الإفراد الدال على الجنس، فهو يشير إلى توحد حال الأطفال وبراءتهم عند الولادة، ثم اختلاف نظرتهم إلى النساء عندما يكبرون قليلا، قال تعالى: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا}(٤).

وأما عن ورود اللفظ تارةً نكرة وتارةً معرفة في قوله تعالى: {أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ}(٥).

فلأن هذا يفيد معنى (الاستغراق) أي أن الحالة تستغرق جميع الأطفال الذين هذه حالهم أو هي عدم إدراك معنى العورة، وجواز دخولهم على النساء.

(١) تفسير التحرير والتنوير، محمد ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس, ١٩٨٤م، ج١٦، ص (٢٠٠).
(٢) لمسات بيانية، فاضل السامرائي.
(٣) المرجع السابق.
(٤) سورة النحل، آية (٧٨).
(٥) سورة النور، آية (٣١).

إضاءة بيانية على آية الاستئذان

حين عرض القرآن الكريم للأطفال ورعايتهم نجده قد وقف طويلاً عند قضية استئذان الطفل قبل الدخول على والديه، وذلك في قوله تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}(١).

ويستشعر القارئ خطورة هذا الأمر، والتشديد عليه في الآية الكريمة من خلال ورود لام الأمر (لِيَسْتَأْذِنْكُمُ) وكأنه تنبيه للأهل على عدم إهمال هذه الناحية، ومراقبة الخدم والأطفال، وما قد تقع عليه عيونهم داخل المنازل من عورات الساكنين، وحول هذا الأمر، يقول الدكتور إبراهيم الدسوقي:

(هو أدب رفيع يغفله الكثيرون في حياتهم، مستهينين بآثاره النفسية والخلقية ظانين أن الخدم لا تمتد أعينهم على عورات السادة، وأن الصغار قبل البلوغ، لا ينتبهون لهذه المناظر، بينما يقرر علماء النفس، أن بعض المشاهد التي تقع عليها أنظار الأطفال في صغرهم هي التي تؤثر في مستقبل حياتهم، وقد تصيبهم بأمراض نفسية وخلقية، وتوجد فيهم عقداً ويصعب شفاؤهم)(٢).

وفي موضع آخر يقول: (ويكفي الإسلام فخراً وشرفاً أنه دين الأدب والستر، ودين الحشمة والوقار)(٣).

وقد عنت الآية الكريمة بفئتين داخل المنزل: الخدم و(الذين لم يبلغوا الحلم منكم) وينبه الدكتور إبراهيم الدسوقي إلى جملة الجار والمجرور (منكم) بقوله: (والمراد بقوله (منكم) الأطفال من الأحرار، لأن الله سبحانه وتعالى قد ذكر العبيد والإماء بقوله (ما ملكت إيمانكم) ثم عقّب على ذلك بقوله (منكم) فدلت هذه المقابلة على أن المراد به الصغار من الأحرار)(٤).

(١) سورة النور، آية (٥٨).
(٢) مقومات الحياة في القرآن، دكتور إبراهيم الدسوقي، دار الصحوة للنشر، ط١، ص (١٦٩).
(٣) المرجع السابق، ص (١٦٩).
(٤) مقومات الحياة في القرآن، ص (١٦٢).

فالطفل قبل البلوغ يتمتع بالبراءة والنقاء والطهر، ومن أسس تربيته وتعليمه أن يستأذن على الكبار في الخلوة والراحة، حتى لا يرى ما يخدش حياءه وبراءته، فإذا بلغ الطفل مرحلة الحلم وأصبح رجلاً، فقد ودّع البراءة، وأصبح يشتهي ما يشتهيه الرجل، لذلك يجب عليه أن يستأذن في كل الأوقات.

وقال القرطبي: (وهي الأوقات التي تقتضي عادة الناس الانكشاف فيها وملازمة التعري، فما قبل الفجر وقت انتهاء النوم ووقت الخروج من ثياب النوم وليس ثياب النهار، ووقت القائلة وقت التجرد أيضاً وهي الظهيرة، لأن النهار يظهر فيها إذا علا شعاعه واشتد حّره، وبعد صلاة العشاء وقت التعري للنوم فالتكشف غالب في هذه الأوقات)[١].

والمتأمل في الآيات الكريمة السابقة (آيات الاستئذان) يلحظ أسلوبية التشديد على الأمور فيما يتعلق باستئذان الأطفال على والديهم، يتبدى ذلك من خلال لام الأمر (ليستأذنكم) وهي تشي بخطورة التوجيه، وفداحة اطلاع الطفل على خصوصية علاقة والديه نظراً لقدسيتها، ووجوب النأي بها عن أنظار الآخرين عامةً والأطفال خاصةً.

كذلك يظهر ذكر العدد (ثلاثة) (ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر) على جدية الأمر والحساب له على وجه الدقة، كي يأخذ المسلم الأمر على محمد الجد، فبعد الفجر، وبعد الظهيرة وبعد العشاء هي أوقات لها خصوصيتها، فلا يقتحم الأطفال فيها غرف والديهم.

كذلك تظهر الفاصلة في نهاية الآية الكريمة (والله عليم حكيم) معنيين عظيمين:

١- (عليم) أي أن الله عليم بمصالح عباده[٢].

٢- (حكيم) أي حكيم في بيان مراده[٣].

فهذه الوقفة المتأنية من القرآن عند قضية استئذان الطفل على أبويه، دالة على أن تشكل شخصية الطفل ونموه العقلي والاجتماعي إنما يرتبط بسنوات عمره الأولى، وما ينغرس في عقله من قيم وتوجيهات ترافقه طوال عمره وهذا ينسجم مع أرقى نظريات علم النفس العربية والعالمية.

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص (٢٠٠).

(٢) انظر (آيات من سورة النور بتفسير الزركشي) د. جمال فرحان الريمي.

(٣) انظر (آيات من سورة النور بتفسير الزركشي) د. جمال فرحان الريمي.

فقد ذهب الباحث كوزينتسوف إلى أن الأسرة هي الأقدر على تعليم أصول السلوك لدى الأطفال، يقول:

(من يستطيع أن يعلم أولاده أصول السلوك سوى الأسرة؟ لدى الأسرة إمكانات أكثر بكثير من إمكانات المدرسة في التأثير على سلوك الطفل، لأنها تلاحظ أقل خلل في سلوك الولد أو البنت، وتستطيع أن تدخل تعديلاً في سلوك كل منهما في بداية الانحراف)[١].

وكتب ف . آ سوخو ملينسكي:

(إن لدى الأطفال تصوراتهم عن الخير والشر، عن الشرف والعار، وعن الكرامة والإنسانية، ولديهم مقاييسهم في الجمال، وأعتبر أن من الضروري أن تصبح طفلاً إلى درجة ما لكي تستطيع الدخول إلى القصر الأسطوري الذي اسمه الطفولة)[٢].

ولكن قلة في المجتمع من يلتفت إلى خطورة تشكل شخصية الأطفال في الصغر، يقول مايكل لاجر:

(إنَّ الذين يأخذون على عاتقهم القسط الأكبر في تربية الأطفال هم القلة)[٣].

وقد تنبه الدارسون العرب إلى هذه الناحية، وقلة المهتمين بالطفولة وعللوا إعراض الناس عن ذلك، من ذلك ما ذهب إليه الباحثان خولة عبد القادر درويش ومحمد حامد الناصر:

"ذلك لأنّ تربية الأولاد عمل خلقي سام، يتطلب من المرء مغالبة النفس، وترك الأهواء والرغبات، واحتمال المتاعب والمشاق، وبذل الأنفس والأموال، فلا يمكن أن يتأتى لهذه الخدمة السامية قوم أنانيون عبيد المنفعة، تغلب عليهم البهيمية وحبّ الذات"[٤].

ومن التوجيهات الجميلة في مجال رعاية الأطفال ما كتبه زين العابدين ﷺ يقول:

(وأما حق ولدك فتعلم أنه منك، ومضافٌ إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنك مسئول عما وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربّه، والمعونة على طاعته فيك وفي نفسه، فمثابٌ على ذلك

(١) نحن وأطفالنا، ترجمة جوهر سعد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق, ١٩٩٧م، ص (٣٢).

(٢) المرجع السابق، ص (٣٢).

(٣) الآباء وتربية الأبناء، ص (٢٦).

(٤) تربية الأطفال في رحاب الإسلام، محمد حامد الناصر، خولة عبد القادر درويش، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، ط٢، ١٩٩٢م، ص٨.

ومعاقب، فاعمل على أمره عمل المتزيّن بحسب أثره عليه في عاجل الدين المعذور إلى ربه، فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه والأخذ عليه)[١].

ولا ننسى في خضمّ هذه التوجيهات الإنسانية أن يشير إلى نصائح لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه (يا بني لا تشرك بالله) وقد خصص القرآن الكريم له سورة سماها باسمه (سورة لقمان) لعظم توجيهاته جاء فيها:

{ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩)}[٢].

ويظهر أسلوبه التربوي في قوله (يا بني) حيثُ تصغير كلمة ابن للتحبيب، حتى يستميله إليه ثم التصعيد وحدة الأسلوب (لا تشرك) فجاء النهي والتحذير مناسباً لموضوع الشرك بالله، وكذلك كان يصعّد في حدة الخطاب كلما تعلق الأمر بالعبادات والنواهي (أقم الصلاة) (لا تصعّر خدّك)، فوصاياه وأسلوبية الخطاب تعد وثيقة لمن أراد الهدي والاتباع.

إضاءات على معانٍ قرآنية خاصة بالطفولة

يخرج من بين الصلب والترائب

من لطيف ما جاء به القرآن الكريم حول ميلاد الطفل استخدام كلمة (يخرج) وذلك في قوله تعالى: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧)}[٣].

(١) رسالة الحقوق، الإمام زين العابدين، تحقيق: عباس علي، دار عمار، عمان، ١٩٩٣م، ط١، ج١، ص(١٢٨).
(٢) سورة لقمان، الآيات (١٣-١٩).
(٣) سورة الطارق، الآيات (٥-٧).

وقد تنبه الدارسون – في العصر الحديث – إلى دقة استعمال الكلمة، لاسيّما وقد وردت في موضع آخر في قوله تعالى:

{ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا}[١].

وقد اعتقد المفسرون القدامى أن الذي يخرج من بين الصلب والترائب هو الماء الدافق (ماء الرجل)[٢].

إلا أن الدكتور تاج الدين الجاعوني[٣] تنبّه إلى خطأ هذا التفسير ناقلاً عن أحد اختصاصي (النسائية والتوليد) وهو الطبيب مأمون شفقة قولاً يذهب فيه إلى أن الضمير في الفعل (يخرج) يعود إلى الإنسان وليس إلى الماء الدافق, يقول:

(إن المسلمين فهموا – خطأً – أن الذي يخرج الماء الدافق، ولكن الحقيقة أن الذي يخرج من بين الصلب والترائب هو الإنسان)[٤].

ويتابع:

(أما وقد وجدت القرينة القوية بما عندنا من علم حديث، فلم يبق من شك في أن هذا الضمير يعود على الإنسان، فما هي هذه القرينة؟ إن هذه القرينة هي أن الجنين (أي الإنسان) يكون في أثناء الحمل وفي تمامه وحين يخرج (أي أثناء الولادة) بالضبط بين الصلب والترائب)[٥].

ويقول:

(ويكون أحد قطبيه (أي الإنسان) قريباً من الصلب (أي الظهر) والآخر قريباً من الترائب (الصدر) يؤيد ذلك ورود الفعل (خرج) في القرآن الكريم في مواطن أخرى دالاً على الولادة:

{وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا}، بينما لم يرد فعل (خرج) مع الماء التناسلي أو مع حركة النطف مطلقاً)[٦].

(١) سورة غافر، آية (٦٧).
(٢) انظر تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) لسورة الطارق، ج٢٠، ص (٦).
(٣) كاتب وطبيب نسائي أردني، مزج في مؤلفاته بين الطب والدين.
(٤) الإنسان هذا الكائن العجيب، د. تاج الدين الباعوني، دار عمار، عمان، ط١, ١٩٩٣م، ج١، ص (٧٩).
(٥) الإنسان هذا الكائن العجيب، د. تاج الدين الجاعوني، ص (٧٩).
(٦) المرجع نفسه، ص (٨٠).

وبناء على كلام الباحث فإن الطفل يأتي إلى الحياة إنساناً كاملاً بكل معنى الكلمة أي حاملاً لكل الصفات الإنسانية، وأنها تولد معه، لا أنه يكتسبها بعد ذلك. فسبحان الله العظيم!

الطفل صناعة إلهية

وهو تعبير لطيف لافت في القرآن الكريم حول الطفل، فقد نصَّ على أن الطفل (يصنع صناعة) وذلك في قوله تعالى مذكراً موسى عليه السلام بطفولته:

{وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي}(١).

يقول د. عودة أبو عودة مبدياً إعجابه بتعبير (صناعة):

(وصناعة الإنسان تتم بعد خلقه وولادته، وبدء حياته في هذه الأرض، فما من إنسان يماري في أن الله عز وجل وحده هو الذي يخلق الإنسان، ويقرّ في الأرحام ما يشاء، ولقد نعلم حقيقةً أن كثيراً من صفات المرء وأنماط سلوكه تشكل ابتداءً قبل ولادته، أي منذ كونه جنيناً في رحم أمه وفق الصفات والأصول التي يودعها الله عز وجل في الجينات(٢).

قال تعالى:

{إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا}(٣).

ويربط الباحث بين لفظ (الصناعة) ولفظ (المحبة) الصافية والمراقبة المستمرة:

(هكذا تقرر الآية الكريمة أن تربية موسى عليه السلام في أحضان فرعون كان لا بدّ لها لكي تتم من أن يلقي الله عز وجل في قلب فرعون محبة موسى كما يحب الوالد ولده، وإلا لما استطاع فرعون أن يتحمل موسى وأن يرعاه)(٤).

ويشكل المجاز في الآية السابقة (ولتصنع على عيني) لوحةً رائعة تؤكد محبة الله للإنسان ورعايته له، فالله هو المحب الأول والصانع الحقيقي للإنسان، وقد ذكرت العين لأنها آلة النظر وأداته، والنظر يفضي إلى الرعاية والمراقبة على سبيل المجاز المرسل.

(١) سورة طه، آية (٣٩).
(٢) شواهد في الإعجاز القرآني، د. عودة أبو عودة، دار آفاق للنشر، عمان، ط١, ١٩٩٦م، ص (١٧٢).
(٣) سورة الإنسان، آية (٢).
(٤) شواهد في الإعجاز القرآني، ص (١٦٩).

وعودة إلى الباحث أبي عودة فإنه يرى أن محبة الأطفال، إنما منبعها نظام الجاذبية الذي أودعه الله في قلب الوالدين ولا طاقة لغير الوالدين في احتمال الطفل وسلوكه، يقول:

(إنك ترى ولداً من أولاد الناس، فيثيرك منظره، ويزعجك كلامه، وثقيل عليك حمله، وتكاد تزهق روحك من بلادته، فإذا به في حضن والده يقبّله ويداعبه، وأنت يكاد يصيبك الغثيان لو أنك أُكرهت على حمله وتقبيله مجاملة)[١].

لذلك كانت محبة فرعون وامرأته لموسى عليه السلام إنما هي من باب المعجزات التي منّ الله بها على موسى عليه السلام، لأن المحبة الحقيقية تكون من الأب لولده، ومن الأم لولدها، وهي نظام الجاذبية الإنساني الذي يشدّ الناس بعضهم إلى بعض)[٢].

(وتأمل أخي القارئ في قدرة الله ﷻ كيف جعل فرعون المتكبر الذي قال للناس: أنا ربكم الأعلى، جعله يربي في أحضانه غلاماً سيكون في المستقبل أبغض مخلوق على وجه الأرض إلى قلبه)[٣].

{فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ}[٤].

وكما منَّ الله عز وجل على موسى عليه السلام بالمحبة والرعاية والمراقبة مَنَّ عليه برده إلى أمه، فلا حضن يعدل حضنها، مهما تبدلت الحاضنات، ولا رضاعة تعدل رضاعتها ولو تعددت المرضعات.

وجاء التقديم والتأخير في الآية الكريمة ليدل على مقدار هذه المحبة، وعظم مهديها فلم يتقدم ذكر الأم (على أهميته) على ذكر الله الذي أعطى وتلطف متمثلاً في الضمير المتصل (فرددنا + ك) فالضمير الأول (نا) دال على الله ﷻ والثاني (الكاف) دال على موسى عليه السلام، تذكيراً لموسى عليه السلام أن عناية الله به سبقت عناية والدته!!

ثم أخر سبب رده إلى أمه فهو وإن كان رأفةً بالأم كي لا تحزن وتهدأ نفسها القلقة، إلا أنه في المقام الأول كان تلطفاً به، فالأطفال إذن يكونون في رعاية الله دوماً قبل أن يكونوا في رعاية أمهاتهم.... فسبحان الله العظيم!!

(١) شواهد في الإعجاز القرآني، ص (١٧٠).
(٢) المرجع نفسه، ص (١٦٩).
(٣) المرجع نفسه، ص (١٧٢).
(٤) سورة طه، آية (٤٠).

{ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ}[١]

يشكل اللعب حاجة أساسية في حياة الطفل، كما يُعدّ عاملاً مساعداً على توجيهه وتعليمه فن الحياة، فمن خلال اللعب تتفتح مداركه على نموذج مصغر للعبة الحياة ومن خلال عراكه مع أقرانه ومنافستهم، ووضعه لقوانين خاصة به أثناء اللعب يتبلور مفهوما الخير والشر في نفسه، لذلك حثّ علماء المسلمين على التنبه لهذه الناحية في حياة الطفل فذهب الغزالي في (الإحياء) إلى ضرورة إفساح وقت للعب الأطفال يقول:

(وينبغي أن يؤذن له "أي الصبي" بعد الانصراف من الكتّاب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب، بحيث لا يتعب من اللعب، فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعليم دائماً يميت قلبه ويبطل ذكاءه) [٢].

ويقول ابن سينا:

(إذا انتبه الصبي من نومه فالأحرى أن يستحم، ثم يخلى بينه وبين اللعب ساعة ثم يطعم شيئاً يسيراً، ثم يطلق له اللعب الأطول، ثم يستحم ثم يُغذى...)[٣].

وقد احتال إخوة يوسف... من خلال إدراكهم لهذه الناحية – للوصول إلى أخيهم والاستفراد به بعيداً عن والده لإيقاع الأذى به، فقالوا مخاطبين والدهم – يعقوب عليه السلام:

{أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ}[٤]، والرتع كما ورد في اللسان هو الأكل والشرب، كما أنه يعني التنعم واللهو، وقدّم الرتع على اللعب في الآية الكريمة لأن الطفل متى تنعم بالأكل والشرب نشط للحركة والجري، ورغم إدراك يعقوب عليه السلام بأنهم محتالون لا يكنّون لأخيهم سوى الحسد والغيرة، إلا أنه ضعف أمام هذا العرض، لمعرفته بحاجة يوسف إلى اللعب، مما جعل يوسف عليه السلام يقع فريسة سهلة لأذى إخوته, بل ومعاناة سنين طويلة عاشها الوالد بعد ذلك.

(١) سورة يوسف، آية (١٢).

(٢) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت, ١٩٨٢م، ج٣، ص (٧٣).

(٣) القانون في الطب، للشيخ الرئيس ابن سينا، (ت: ٤٢٨هـ)، تحقيق: محمد أمين الضّناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ج١، ص (٢٢٠).

(٤) سورة يوسف، آية (١٢).

فالقرآن الكريم من خلال هذا الموقف حقق هدفين تربويين:

أولهما: تسجيل وقائع هذه القصة المؤثرة التي وقعت على وجه الحقيقة.

ثانيهما: نقل إشارات إلى المربين والآباء بضرورة جعل الأطفال دوماً تحت المراقبة الحثيثة تجنباً لوقوع كوارث كثيرة يدفع الطفل والأهل ثمنها طوال حياتهم.

الخاتمة:

لقد كان لهذا البحث تجوال في القرآن الكريم، متأملاً في موقف القرآن الكريم من الأطفال والطفولة، فألفى أن القرآن الكريم قد احتفل بالطفل منذ تكونه في رحم أمه جنيناً على هيئة نطفة ثم مُضغة ثم اكتسائه باللحم إلى أن يولد ويشبّ.

وقد تجلّت هذه الاحتفالية بـ:

١- حثّ الوالدين على طلب الذرية الصالحة {وَالَّذِيْنَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِيْنَ إِمَاماً} [الفرقان، آية: ٧٤].

٢- العناية بالطفل جنيناً، فنهى الأمهات عن قتل الأجنّة { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ} [الممتحنة, آية: ١٢].

٣- العناية والتنبيه على مراحل تكونه في بطن أمه ليكون ذلك سبباً في التفكر والإيمان بالله {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤)} [المؤمنون، الآيات: ١٢-١٤].

٤- التنبيه على حقه في التسمية { وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ} [آل عمران، آية: ٢٦].

٥- كما نبّه على حقه في النفقة مع والدته من قبل والده { وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [البقرة، آية: ٢٣٣].

٦- وعدَّ ميلاده بشارة لوالديه: { يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ} [مريم, آية: ٧].

٧- كما أقسم بميلاده { وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ} [البلد, آية: ٣].

٨- وخصص آيات طوالاً في سورة البقرة يفصّل فيها حقه في الرضاع والعناية والنفقة.

٩- كما وعد بحفظ رزقه بمعية والديه { نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ} [الإسراء, آية: ٣١].

١٠- ووعد برزق والديه بمعيته: { نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ} [الأنعام, آية ١٥١].

١١- وجاءت السنة الشريفة وأخلاق الصحابة رضوان الله عليهم لتتمثل كل ذلك فتنهى عن قتل الأطفال بعد ودلاتهم (لا تقتلوا طفلاً ولا امرأةً). انظر المقدمة

١٢- وأشار إلى حقهم بأن يرتعوا ويلعبوا، كما بدأ في قصة يعقوب عليه السلام مع ابنه يوسف عليه السلام {أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ} [يوسف، آية: ١٢].

١٣- وحرص على بقائه مع والديه لأنهما الأحنّ عليه: {لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا} [البقرة، آية: ٢٣٣]، { وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ} [البقرة, آية: ٢٣٣].

١٤- كما حرص على إعادة الأطفال إلى أهليهم بعد فقدانهم: {رَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ} [طه، آية ٤٠] إشارةً إلى عودة موسى إلى حضن والدته بعد أن راح منها.

١٥- ودعا إلى عدم التمييز بين الذكور والإناث لأن كليهما هبة الله {يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ} [الشورى، آية: ٤٩].

وغيرها من وجوه العناية التي أشار إليها البحث في أماكنها، محللاً قدر استطاعته جماليات الصور البيانية الواردة فيها، وآراء الدارسين والبلاغيين والمفسرين في تحليلها، واستنباط الأحكام والدروس والعبر التي تساعد الناس على رعاية الأطفال وتربيتهم.

كل ذلك وفق منهج بياني وصفي يعمد إلى عرض النصوص القرآنية، وبيان موطن الاستشهاد فيها، الفني منها والتربوي، ليخرج من كل ذلك بأن الطفل أمانة عظيمة لدى الأبوين، ينبغي حفظها، وأداء حق الله فيها وليس كما نرى اليوم، من إهدار لهذا الحق بالقتل والتشريد والعمالة، تحتَ غطاء الحروب وويلاتها.

المراجع

القرآن الكريم

الآباء وتربية الأبناء، ترجمة محمد بن عبد الرحيم عدس، دار الفكر للنشر، عمان، ط١, ١٩٩٥م.

إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت،١٩٨٢م.

أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم الزمخشري، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢م.

إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، تحقيق: نجوى عباس مؤسسة المختار، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣م.

الإنسان هذا الكائن العجيب، د. تاج الدين الجاعوني، دار عمار، عمان، ط١, ١٩٩٣م.

الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق: محمد بن عبد المنعم الخفاجي الشركة العالمية للكتاب، بيروت, ١٩٨٩م.

تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١, ١٤٠٧هـ.

تربية الأطفال في رحاب الإسلام، محمد حامد الناصر، خولة عبد القادر درويش، مكتبة السوداني للتوزيع، جدة، ط٢, ١٩٩٢.

تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣.

تفسير التحرير والتنوير، محمد ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠م.

حقوق الطفل بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، د. عبد العزيز المخيمر، مجلس النشر العلمي، ط١, ١٩٩٧.

حقوق الطفل في القرآن، عبد الحكيم الأنيس، دار الشؤون الإسلامية، الإمارات، ط١، ٢٠٠٨م.

حقوق الطفل في القرآن الكريم، د. داود بن عيسى بورقيبة، (بحث قدمه في ندوة بعنوان: تطور العلمية الفقهية. سلطنة عمان، وزارة الأوقاف، في ٢٠١٤/٩/٦م).

شعر ابن هَرْمَة القرشي، تحقيق: محمد نفّاع وحسين عطوان، مكتبة مروان العطية، دمشق، ١٩٦٩.

حلقة العناية بالثقافة القومية للطفل العربي، محمد أبو العزم، (د.ت).

خلق الإنسان، د. عبد الفتاح محمد طيرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٨م.

ديوان عباس بن مرداس، تحقيق: الدكتور يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩١.

رسالة الحقوق، الإمام زين العابدين، تحقيق: عباس علي، دار عمار، عمان ١٩٩٣م، ط١، ج١.

شواهد في الإعجاز القرآني، د. عودة أبو عودة، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

الطفل في ضوء القرآن الكريم، غالية محمد البيشي، رسالة ماجستير، إشراف د. كمال سيد أحمد، الرياض، ١٤٣٢هـ.

فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

قانون الطفل العربي، رقم (١٢) لسنة ١٩٩٦م، المستشار أحمد صابر، إصدار نادي القضاة، ط روز اليوسف، ٢٠٠٣م/ ٢٠٠٤م.

القانون في الطب، ابن سينا، تحقيق: محمد أمين الضّناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١, ١٩٩٩م، ج١.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم الزمخشري، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٣م.

لسان العرب، ابن منظور المصري، دار صادر، بيروت.

لمسات بيانية، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان، ط٣، ٢٠١٣م.

مجاز القرآن، أبو عبيدة محمد بن المثنى، تحقيق: محمد فؤاد سركيس، (د.ت)، ج٢.

مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العربي، ط. ٢٠٠٢م.

من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة، ط٥، ٢٠٠٨م.

من روائع القرآن، د. محمد سعيد البوطي، مكتبة الفارابي، دمشق، ط٣، (د.ت).

مقومات الحياة في القرآن، د. إبراهيم الدسوقي، دار الصحوة للنشر، ط١، ١٩٨٥م.

نحن وأطفالنا، ترجمة جوهر سعد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق, ١٩٩٧م.